فکر: المبادىء الدستورية عند الشيعة (من خلال أقوال الإمام علی بن الحسين (ع))

پدیدآورده (ها) : محمود مکی، حسین
ادیان، مذاهب و عرفان :: العرفان :: فروردین 1362 - شماره 714
از 24 تا 32
آدرس ثابت : http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/312111

دانلود شده توسط : رسول جعفریان
تاریخ دانلود : 25/06/1396

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائهٔ مجلات عرضه شده در پایگاه،مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه قوانین و مقررات استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

پایگاه مجلات تخصصی نور

www.noormags.ir

المبادئ الدستورية عند الشيعة
من خلال اقوال الامام علي بن الحسين (ع)

بقلم : حسين محمود مكي

في بحثنا الأول عن المبادىء الدستورية عند المسلمين الشيعة ، ذكرنا أنّنا نعالج الموضوع من خلال أقوال الأئمة (ع) ومن خلال سيرتهم الشخصية ومراحل حياتهم . حيث نستخرج ما يتعلق بمبادىء القانون الدستوري ، والدولة وتكوينها ، والحكومة وأشكالها ، والقواعد الاساسية لحقوق الأفراد وحرياتهم .

وها نحن في بحثنا هذا نحاول أن نتبين هذه المبادىء من خلال أقوال الامام علي بن الحسين (ع) وسيرته الشخصية ومراحل حياته .

* * *

لقد تعرفت الى حياة الامام زين العابدين عدة مرات حتى الآن . وكنت في كل مرة أوفّق إلى إدراك أمور جديدة من سيرته وآثار علمه وعمله تزيدني إيمانا وتقوى ، وتفتح أمامي آفاق الفكر الاسلامي بكل وقائعه وابعاده .

تعرَّفتُ إليه في طفولتي من خلال الأَدْعِيَة المباركة التي كُنت أَستمع إليها في أوقات الغروب والسحر والفجر . أَدْعِيَة الصحيفة السجادية التي تربَّيت عليها فكانت مع القرآن الكريم ونهج البلاغة ملاذي وهدايتي في كل وقت .

وتعرَّفت إليه بعد ذلك في شبابي حين كنت أَلجأُ إلى الصحيفة السجادية في أَوقات ممتعة من صفاء الذهن وهدوء النفس وحلاوة الايمان وعذوبة اليقين . وكنت أَقتطف منها مقاطع أَستشهد بها حديثاً وخطابةً وكتابةً ودراسةً ، لأَنَّها تبعثُ في نفسي الطمأنينة والراحة وتبعثُ في نفوسِ المستمعين القَناعة والاستحسان والتأييد ، فأَشْعُرُ أَنَّني اهتديت وهَدَيت .

وتعرَّفتُ إليه اليومَ من جديد في معرض إعداد هذه الدراسة ، فكانت فرصة ذهبية أُتيحت لي لِكَيْ أَدرس الامام زين العابدين مجدَّداً ، وأتعرَّفُ من خلال سيرة حياته وأقواله الى المبادىء الدستورية التي نادى بها وأَعلنها ونشرها في أمور الخلافة والولاية والبيعة والراعي والرعية والحقوق

www.noormags.ir

والواجبات وتكوين الدولة والتشريع المالي والقضائي .

* * *

هو الامام علي بن الحسين ، زين العابدين، السجّاد ، ذو الثفنات ، وُلِدَ في المدينة المنورة يوم الاحد في الخامس من شعبان عام ثمانٍ وثلاثين للهجرة . وتوفّي فيها يوم السبت في الثاني من المحرَّم عام تسعين للهجرة ، ودُفِنَ في البقيع . وفي ولادته ووفاته عدة روايات .

كان يقول أنا إبن الخيرتين من العرب قريش ، ومن العجم فارس . أفضل أَهْلِ زمانه وَأَحْلَمُهُم وَأَصْبَرُهُم وأكثرُهم تسامحاً ، يحسن إلى من يُسيء إليه ، ويقول لمن يعاديه أو يشتمه « إنْ كنت صادقاً فاسأل اللَّهَ أن يغفر لي ، وإن كُنت كاذباً فاسأل اللَّهَ أنْ يغفر لك » . حَمَى أهل مروان بن الحكم يوم وقعة الحرة ، فكان عظيم التجاوز والعفو والصفح .

قال عنه الزهوي : « كان أفضل هاشمي ادركناه » ، وقال عنه جابر : « ما رؤ ى من الأولاد مثل علي بن الحسين الا يوسف بن يعقوب». كان معظماً مهيباً عند القريب والبعيد والولي والعدو .

وكان يأبى أنْ يؤ اكل أمه ويقول : « أكره أن تمتد يدي الى ما اشتهته عينها » . وكان إذا أخطأ مولى له أعتَقَهُ ولو كان ثمن الخطأ وفاة ولده كما حدث له . فكان أقوى يد بين الأيدي التي عملت على تحرير العبيد . وكان ينفق على هذا التحرير من ماله حتى قيل أنَّه أَعْتَقَ مئة أَلْفٍ من الموالي والجواري فسُمِّيَ مُحرِّر العبيد .

كان أعلم أهل زمانه وأفقههم وأورعهم وأعبدهم . كان يشبه جدّه أمير المؤمنين في فقهه وعبادته . خلف أباه علما وزهداً وعبادة . وقد اهتمَّ بالعلم والثقافة وتهذيب الأخلاق بواسطة الدعاء . . وعلى يديه تتلمذ الكثيرون من العلماء ، ورافقه الكثير من رجال الصحابة .

وروى عنه الفقهاء ما لا يحصى من العلوم وحفظوا عنه المواعظ والادعية ، حتى قيل : « قلَّما يوجد كتاب زهد وموعظة ليس فيه : قال علي بن الحسين » . وكان عبد الله بن الحسن يقول : « ما جلست إليه قط إلَّا قمت بخير افدته ، اما خشية في قلبي من خشية الله او علم قد افدته منه » . كلماته مخظلة يانعة ترفل بالحكمة والخير والصلاح والفلاح ، وهي مظهر للنبوغ الفكري والانساني ومرآة للعلم والثقافة . من مؤلفاته الصحيفة السجادية الكاملة وهي تحتوي على مجموعة الادعية المشهورة عنه . ورسالة الحقوق وهي تحتوي على قواعد السلوك العام والخاص ، وتتناول الحقوق الاساسية التي نصَّت عليها الدساتير الحديثة للأفراد مثل حق الرعاية وحق العلم وحق العمل والفعل والتصرُّف والقول وحرية العبادة وحقوق الجار والغريب والمواطن وحقوق الخصم المدَّعِي والمدَّعَى عليه وحقوق الخليط وغيرها .

www.noormags.ir

وكان في عبادته وتقواه سيد المتقين وإمام المؤمنين . كان كثير الصلاة والخشوع . كان يصلّي صلاة مودِّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبداً . وقد قال عنه ولده الامام الباقر (ع) : « ما ذكر للّه عزّ وجل نعمةً الا وسجد ، ولا قرأ آيةً في كتابِ اللّه إلّا وسجد ، ولا فرغ من صلاة الا وسجد ولا وُفّقَ لإصلاح بين إثنين إلا وسجد » . وكان أثر السجود في جميع مواضع جسده فسمي السجّاد ذو الثفنات من طول السجود وكثرته . « ما عرض له امران هما للّه رضاً إلّا أخذ بأشدّهما عليه في دينه » . « وما أطاق عمل رسول الله من هذه الأمة غيره » . « عَبَدَ الله حتى اصفرَّ لونه ، وبكى مأساته حتى رمضت عيناه » . ومن أروع ما قيل عن عبادته قول مولاة له : « ما أتيته بطعام نهاراً (صائم) ولا فرشت له فراشاً في ليلٍ (قائم) » .

ترك من آثار عبادته مجموعةً من الادعية المشهورة بَلَغَتْ أقصى درجاتِ الفصاحة والبلاغة وهي مجموعةٌ في الصحيفة السجادية الكاملة وأربع صحائف من أَدْعِيَتِه » . « وقد اتَّخذ من الدعاء أساساً لعلاج الأوضاع الراهنة في عصره . فخلق الدعاء جوّاً روحياً في المجتمع الاسلامي ساهم في تثبيت الانسان المسلم أمام المغريات . فكانت الصحيفة السجادية عملاً اجتماعياً عظيماً وضرورةً في المرحلة الانتقالية وتراثاً ربّانياً فريداً » .

* * *

والمحطة الأساسية في حياة الامام زين العابدين هي كربلاء التي عاش فيها أيّامه الصعبة فشحنت نفسه بالدعاء كما شحنت نفس أبيه الحسين بالثورة . فقضى الوالد في سبيل الدفاع عن الرسالة وعاش الابْن لاستمرارها . الأب فَدَاها بنَفْسِه ثورةً على الفساد والابن حفظَها بِعِلْمِهِ محاربةً للفساد .

شهد الامام علي بن الحسين مأساةَ كربلاء ، حيث قُتِل والدُه وله من العمر ٢٣ سنة ، فبكاه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله . فقد أذهب الحزن قلبه لمأساة كربلاء . وكان حضوره لمعركة عاشوراء عنصراً من عناصر المأساة نفسها كما كانت نجاته من القتل فيها سرا إلهياً من علاماته أنّه حفظ خفايا المعركة وحفظ استمرار الرسالة .

عاشوراء علّمت زين العابدين الصبر كما أورثته الألم . فداوى ألمه بصبره وتغلّب على ألمه بتعبُّدِه . وكان يقول : « ما تجرَّعْتُ جرعةً أحبُّ إليَّ من جرعةِ غَيْظٍ أَعْقَبَها صَبْر » . « الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له » . وهو مع هذا الصبر يمثل ثورةً صامتةً وصورةً عالميةً للمقاومة السلبية التي تجسَّدت في مواقفه وكلامه وتصرفاته . وقد حافظ بذلك على آخر وصية أوصى بها الحسين ولده زين العابدين : « إيّاك وظلم من لا يجد عليك ناصرا الا الله » . ويا لهول الظلم الذي تعرض له السجّاد بعد ذلك حتى كانت أول كلمات عامة نطق بها قوله لأهل

www.noormags.ir

الكوفة : « بأيِّ عينٍ تنظرون الى رسول الله إذ يقول لكم قتلتم عتْرتي وانتهكتم حرْمتي فلستم من أمّتي » .

وكما كان الحسين رائداً للثورة الاسلامية في كربلاء ، كذلك كان ولده زين العابدين رائداً للمدرسة الإسلامية في المدينة . فقد قُدِّر له أنْ يتسلَّم مسؤ ولياته القيادية والروحية بعد استشهاد أبيه ، فمارسها في مرحلةٍ من أدق المراحل التي مرَّت بها الأمة ، وهي المرحلة التي أعقبت موجة الفتوح الأولى حيث امتدّت الموجة بزخمها الروحي وحماسها العسكري والعقائدي فزلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة وضمَّت شعوباً مختلفةً وبلاداً واسعةً إلى الدعوة الجديدة وأصبح المسلمون قادة الجزء الأعظم من العالم المتمدن فعرَّضهم ذلك لخطرين : « أوَّلهما ما نَجَمَ عن الانفتاح على ثقافاتٍ متنوعة وأعرافٍ تشريعية وأوضاعٍ اجتماعيةٍ مختلفةٍ وهذا ما استدعى العمل لتأكيد أصالة المسلمين الفكرية وشخصيتهم التشريعية المميزة . والثاني ما نجم عن الرخاء الذي ساد المجتمع والانسياق مع الملذات ، فاتخذ الامام زين العابدين الدعاء أساساً للعلاج وخلق جواً روحياً ساهم في تثبيت الانسان المسلم أمام المغريات » .

من هنا فإنَّ سيرة الامام زين العابدين التي تعتمد على الكلمة والموقف وترفل بالخير والصلاح والفلاح ستبقى على الدوام تشيع فينا جواً روحياً يعمُّ المجتمع الاسلامي ويساهم في تثبيت الانسان أمامَ المغريات كما أنَّ الصفات والمزايا التي تحلَّى بها الامام السجاد ستبقى من أفضل ما نحتاج اليه ، سواء بالتوكل الرائع او بالايمان العميق .

* * *

وإذا تتبعنا أقوال الامام زين العابدين وجدنا فيها كثيراً من المبادىء الدستورية التي تتناول صفات الحاكم وواجباته وحقوقه . وحقوق الافراد وواجباتهم ، ومبادىء أساسية في التشريع المالي وفي القضاء والدفاع وموضوع الأرض على النحو التالي :

الوالي اختاره الله ليكون الوسيلة والمسلك اليه خازناً للعلم وطريقاً للهداية . هو منارة وذريعة . مطاع ومعصوم ليكون موضع امتثال وتأييد ومصدر فتوى يقيم الحدود ويحفظ الحقوق . هذه صفات أساسية وشروط لازمة يجب أن تتوفر في الحاكم . وفي هذا يقول الامام زين العابدين : « اللَّهُمَّ صلِّ على اطايب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك وجعلتهم خزنة علمك وحفظة دينك وخلفاءك في أرضك وحججك على عبادك ، وطهَّرتهم من الرجس تطهيراً بإرادتك ، وجعلتهم الوسيلة اليك والمسلك الى جنَّتك » .

والخليفة موجود في كل عصر لأنه الحجة للّه على عباده في جميع أنحاء أرضه ، وطاعته مفروضة وأمرُه ممتثل ونَهْيُه مطاعٌ كهف المؤمنين وراعي الحدود والشرائع والسنن لرب العالمين .

www.noormags.ir

وفي هذا يقول الامام علي بن الحسين : « اللَّهُم إنَّك أدَّيت دينك في كل أوانٍ بإمامٍ أقمته علماً لعبادتك ومناراً في بلادك ، بعد أن وصلت حبله بحبلك وجعلته الذريعة الى رضوانك وافترضت طاعته وحذرت معصيته وأمرت بامتثال أمره والانتهاء عند نهيه ، والا يتقدمه متقدم ولا يتأخَّر عنه متأخر فهو عصمة اللائذين وكهف المؤمنين وعروة المتمسكين وبهاء العالمين » . « اللَّهُمَّ أَقِمْ به كتابك وحدودك وشرائعك وسنن رسولك واجعلنا له سامعين مطيعين وفي رضاه ساعين والى نصرته والمدافعة عنه ملتفين » .

وفي هذا القول اشارة الى واجبات الرعية في طاعة الوالي والاستماع اليه والسعي لرضاه ونصرته والدفاع عنه . وقد أشار الامام زين العابدين الى هذا الموضوع في رسالة الحقوق تحت عنوان حق السلطان حيث يقول : « فأمَّا سائسك بالسلطان فإن تعلم انك جعلت له فتنة وانه مبتلى فيك بما جعله الله له عليك من السلطان . وان تخلص له في النصيحة وان لا تماحكه ولا تخاصمه ولا تنازعه ولا تعازه ولا تعانده . وتلطف لاعطائه من الرضى ما يكفه عنك ولا يضر بدينك ، وتستعين عليه في ذلك بالله » .

وفي هذا الكلام ايضاح سياسة السلطان الحاكم بالعدل الذي لا يستغل الرعية بل يخلص لها القول والفعل حتى تصبح له بلاءً وهمّاً ويكون سلطانه عليه مسؤولية وغمّاً لأنه يستوحي في عمله قول الله تعالى وتعاليم الكتاب الحنيف . والرعية بالمقابل تستطيع بالفعل الصالح أنْ تزيل الهم عن الراعي إذا أخلصت له قولاً وفعلاً ووفَّرت عليه النزاع والخصومة وهي بهذا تخفف أعباء مسؤوليته وتسهِّل قيامه بواجبه .

كما أشار الامام زين العابدين الى حق آخر هو«حق سائسك بالملك فهو نحو من حق سائسك بالسلطان . إلَّا أنَّ هذا يملك ما لا يملكه ذاك . تلزمك طاعته فيما دق وجل منك الا ان تخرجك من وجوب حق الله » . في هذه الحال يكون الوالي قد اخذته الدنيا عن الآخرة واقعده الملك عن العمل وفي هذا يقول : « عزة الملك وحب الرئاسة ينهي عن العمل » .

هنا تأتي واجبات الحاكم وهي كثيرة من طليعتها ان يحسن الولاية لمن يرعاه فلا يظلم ولا يستعجل : « اللهم اني اعوذ بك من سوء الولاية لمن تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا » أوْ أنْ ينطوي على غش أحد أو أن يتهضمنا السلطان . . . انما يعجل من يخاف الموت ، وانما يحتاج الى الظلم الضعيف » . وقد قال الحسين لولده : « اياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا الا الله ». واشار الامام زين العابدين الى حقوق الرعية بقوله : « فما أولى من الرعية بالرحمة والحياطة والأناة » .

ومن حقوق الأفراد وواجباتهم البر والانصاف والمسالمة والأمن والسلامة وقد عدد الامام زين

www.noormags.ir

العابدين كثيرا من هذه الحقوق في رسالته التي تضمنت المبادىء الاساسية لحقوق الأفراد في المجتمع ولحياة الناس كمواطنين . وفي رسالة الحقوق هذه نصوص تشير الى خمسين حقاً تتناول حقوق الله أصل الحقوق ، ثم حقوق الجوارح والأفعال والواجبات للسلطان والرعية وللأهل والمواطنين .

ومن أقوال الامام زين العابدين في هذا الموضوع : « اللهم وفِّقنا لأن نصل أرْحامنا بالبر والصلة ، وأنْ نتعاهد جيراننا بالأفضال والعطية . وأنْ نخلص أموالنا من التبعات وأن نطهرها باخراج الزكاة وان نراجع من هجرنا وان ننصف من ظلمنا وان نسالم من عادانا . . . اللهم اني أعتذر اليك من حق ذي حق لزمني لمؤمن فلم اوفره » .

وفي الصحيفة السجادية تطرَّق الامام زين العابدين كذلك الى حقوق الافراد وواجباتهم اكثر من مرة فتناولت الادعية في الصحيفة المبادىء الاساسية للعلاقات بين الافراد والتصرفات وطريقة التعايش والمسؤولية الاجتماعية والفردية وواجبات المواطنية الصالحة وكيفية التعامل مع الناس .

وهذه نماذج من اقواله : « اللهم اعني على صالح النية ومرضي القول وممتحن العمل » ، « اللهم انزع الغل من صدري للمؤمنين ، وجاورني الأطيبين من اوليائك » ، « ولا تجعلني للظالمين ظهيرا » . «اللهم اني اصبح وامسي مستقلا عملي » . « اللهم اكفنا طول الأمل وقصِّره عنا بصدقِ العمل ، واجعل لنا من صالح الأعمال عملاً نستبطىء معه المصير اليك . واجعله باباً من أبوابِ مغفرتك ومفتاحاً من مفاتيح رحمتك» .«لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل ما يتقبل» «ان احبكم الى الله احسنكم عملا » . « لا حسب لقرشي ولا لعربي الا بتواضع » . « الناس بالناس » . « دع عني حديث ابي وامي وجدي ، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشيا . وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشيا » . « والله لا ينفعك غداً الا تقدمة تقدمها عن عمل صالح » . وفي هذه الأقوال تركيز على العمل الصالح ، والنية الحسنة ، والابتعاد عن الظلم والمساواة في الحقوق والواجبات على أساس العمل الصالح لا على أساس الحسب والنسب .

وتناول الامام زين العابدين موضوع الأرض في أدعيته اكثر من مرة تناولها كوطن ومسقط رأس ومصدر راحة . . . انه الوطن الذي يجمع الانسان الى الأرض تحت ولاية واحدة يحميها الراعي الصالح ويحفظ ابناءها الخليفة العادل « وهاجر الى بلاد الغربة ومحل النأي عن موطن رحله وموضع رجله ومسقط رأسه ومأنس نفسه إرادة منه لا عزاز دينك » .

« اصبحنا واصبحت الاشياء كلها بجملتها لك سماؤ ها وارضها وما بثثت في كل واحد منهما ساكنه ومتحركه ومقيمه وشاخصه وما علا في الهوا وما كانَ تحت الثرى ، أصبحنا في قبضتك يحوينا لملكك وسلطانك وتضمنا مشيئتك » .

أمَّا موضوع المال فقد تناوله الامام زين العابدين (ع) اكثر من مرة في أدعيته وأقواله ووضع

www.noormags.ir

النقاط الرئيسية والمبادىء الأساسية للتشريع المالي ، فتحدث عن مصدر المال وإنمائه وإنفاقه وعن الضرائب وتخليص الأموال وحق المشاركة والحفاظ على الثروة وحق السائل والمسؤول على النحو التالي :

١ ـ **مصدر المال** : وكيفية اكتسابه وإنفاقه قال عنها : « أَلاَ وأَنَّ أول ما يسألانك عنه . . . وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته » فالانسان بحسب هذا القول مسؤول عن مصدر ثروته وعن كيفية انفاقها والتصرف بها ، حيث قول الامام زين العابدين في مكان آخر « أما حق المال فأن لا تأخذه الا من حله ، ولا تنفقه الا في حِلّه ولا تحرفه عن مواضعه ولا تصرفه عن حقائقه ولا تؤثر به على نفسك من لِعلّة لا يحمدك ، وبالحري أنْ لا يحسن خلافته في تركك ولا يعمل فيه بطاعة ربك ، فتكون مُعيناً له على ذلك وبما أَحْدَثَ في مالك أحسن نظراً لنفسه ، فيعمل بطاعة ربه فيذهب بالغنيمة وتبوءُ بالاثم والحسرة والندامة مع التبعة » .

٢ ـ **استثمار المال** : وتنميته وزيادته ضمن الأصول والحقوق وفي هذا تمام الثروة حيث يقول : « استنماء المال تمام المرؤة ، وارشاد المستشير قضاء لحق النعمة » .

٣ ـ **المال لا يتعلق بكرامة الانسان** الشخصية ومركزه الاجتماعي ، فالمواطن لا يعامل ولا يقاس على هذا الاساس ، فلا بد مع المال من اخلاق « اللهم اجمع لي المال والعفاف » . « اللهم اعصمني ان اظن بصاحب ثروة فضلا . . . اللهم اني اعوذ بك الأزراء بالمقلين . . . » .

٤ ـ **الضرائب** : موضوع جديد نتعرف اليه في هذا المجال . وقد اشار اليه الامام زين العابدين بقوله : « اللَّهُمَّ وفقنا لأن نخلص اموالنا من التبعات ، وان نطهرها باخراج الزكاة . . . » .

« اللَّهُمَّ أجبر بالقرآن خلقنا من عدم الاملاق ، وسق الينا رغد العيش وخصب سعة الأرزاق وجنبنا به الضرائب المذمومة ومداني الاخلاق » .

٥ ـ **المشاركة** : في المال موضوع جديد كذلك أشار اليه الامام زين العابدين بقوله : «حق الشريك إنْ غاب كفيته وإنْ حَضَرَ ساويته . ولا تعزم على حكمك دون حكمه ، ولا تعمل برأيك دون مناظرته ، وتحفظ عليه ماله وتنفي عنه خيانته فيما عز أو هان فانه بلغنا ان يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا» .

٦ ـ **الصدقات** : وقد تعرض لها الامام زين العابدين كمصدر من مصادر الحقوق في الأموال بقوله :

« أَمَّا حقُّ السائل فإعطاؤه إذا تهيَّأت صدقة وقدرت على سد حاجته . وأَمَّا واجب المسؤول فحقّه إنْ أعطى قبِل مِنْهُ ما أَعْطى . واعلم أَنَّه مَنْ مَنَعَ فما له منع وان ليس التثريب في ماله » .

www.noormags.ir

أمّا في موضوع الدفاع عن الدولة (الولاية) فلا بُدَّ هنا من أنْ نذكر ما جاء في دعائه لأهل الثغور : « اللّهُمَّ حَصِّن ثغورَ المسلمين بعزَّتِكَ وأَيِّد حماتِها بقوَّتِك وأَسْبِغ عطاياهم من جِدَّتِك وكثِّر عُدَّتهم واشحذ أسلحتهم واحرس حوزتهم وامنع حومتهم وألِّف جَمْعَهُم ودبِّر أَمْرَهم وتوحَّد بكفاية مُؤنهم واعضدهم بالنصر وأَعِنْهم بالصبر وألْطِف لَهُم في المكر . وعرِّفهم ما يجهلُون وعلِّمهم ما لا يعلمون وبصِّرهم ما لا يُبصِرون وأَنْسِهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخدّاعة الغرور وامْحِ عن قلوبهم خطرات المال الفتون واجعل الجنة نصب أَعينهم ولوح منها لابصارهم ما اعددت منها من مساكن الخلد ومنازل الكرامة والحور الحسان والانهار المطردة بانواع الاشربة والاشجار المتدلية بصنوف الثمر حتى لا يهم احد منهم بالادبار ولا يحدث نفسه بفرار. أفْلِلْ بذلك عدوَّهم وأَقْلِم عنهم أَظفارهم وفرِّق بينهم وبين أَسلحتَهم واخلَع وثائق أَفْئدتهم وساعد بينهم وبين أَزودتهم وحيِّرهم في سبلهم وضلِّلهم عن وجههم واقطع عنهم المدد وانقص منهم العدد واملأ افئدتهم الرعب واقبض أَيديهم عن البسط واخزم أَلْسِنَتَهم عن النُّطْق وشرِّد بهم من خلفهم ونكِّل بهم من ورائهم واقطع نسل دوابهم وانعامهم . اللّهُمَّ وقَوِّ بذلك محال أَهْلِ الاسلام وحصِّن به ديارهم وثمِّر به أَمْوالَهُم وفرِّغهم عن محاربتهم لعبادتك » .

أما في موضوع الأمن للمواطنين : فيمكن أن نذكر هذا الدعاء :

« وقد فررت اليك يا إلهي بنفس ، واليك مفر المسيء ومفزع المضيع لحظ نفسه الملتجيء . فكم من عدوٍّ انتظى على سيف عداوته وشحذ لي ظبة مديته ، وأَرْهف لي شبا حدِّه وأبان لي قواتل سمومه وسدَّد نحوي صوائب سهامه . ولم تنم عني عين حراسته وأضمر أن يسومني المكروه ويجرعني زعاف مرارته فنظرت يا الهي الى ضعفي عن احتمال الفوادح وعجزي عن الانتصار ممن قصدني لمحاربته ووحدتي في كثير عدد من ناوأني وأَرْصَدَ لي بالبلاء فيما لم أعمل فيه فكري فابتدَأْتني بنصرك وشددت أزري بقوَّتك ثم فَلَلْتَ لي حده وصيَّرته من بعد جمعٍ عديدٍ وحده وأعلَيْت كعبي عليه وجعلت ما سدَّده مردوداً عليه فرددته لم يشف غيظه ولم يسكن غليله وقد عضّ على شواه وأدبَرَ مولياً قد أخلفت سراياه » .

أمّا في موضوع القضاء : فقد تناول الامام زين العابدين عدداً من النقاط التي تعتبر أساساً للتشريع القضائي . منها : حق الشريك وحق الخليط وحق المال وحق الغريم وحق الخصم المدعي والمدعى عليه .

« حق الغريم الطالب لك إن كنت موسراً كفيته وأغنيته ولم ترده وتمطله ، فإنَّ رسول الله (ﷺ) قال : « مطل الغني ظلم » وان كنت معسراً أرضيته بحسن القول . « حق الخليط أنْ لا تُخِرَّه ولا تفشه ولا تكذِّبه » .

www.noormags.ir

« حق الخصم المدَّعي عليك فإنْ كانَ ما يدَّعي عليك حقّاً لم تنفسخ في حجة ولم تعمل في إبطال دعوته وكنت خصم نفسك له والحاكم عليها والشاهد له بحقه دون شهادة الشهود . وان كان ما يدعيه باطلاً رفقت به وردعته وناشدته بدينه وكسرت حدَّته عنك بذِكْرِ اللّه » .

« وَأَمَّا حق الخصم المدَّعى عليه فإن كان ما تدَّعيه حقاً أجملت في مقاولته بمخرج الدعوى فإن للدعوة غلطة في سمع المدّعى عليه وقصدت قصد حجتك بالرفق وامهل المهلة وابين البيان والطف اللطف ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعته بالقيل والقال فتذهب عنك حجتك ولا يكون لك في ذلك درك » .

وأمّا حق من ساءك القضاء على يديه بقولٍ أو فعلٍ فإن كان تعمَّدها كان العفو أولى بك لما فيه من القمع وحسن الأدب مع كثيرٍ أمثاله من الخلق فإن لم يكن عمدا لم تظلمه بتعمُّد الانتصار منه فتكون قد كافأته في تعمّد على خطأ ورفعت به ورددته بألطف ما تقدر عليه » .

هذه بعض المبادىء الدستورية التي أَمْكَنَ استخلاصها من سيرة حياة الامام زين العابدين ومن أقواله . وهي تتناول كثيرا من المواضيع الاساسية في هذا المجال وقد اكتفينا بهذه الدراسة السريعة بذكرها مع قليل من التعليق عليها وشرح مدلولها آملا في أنْ نعود إلى هذا الموضوع مرة ثانية حيث يتسنى لنا جمع أقوال الأئمة (ع) في كل موضوع على حدة . واللّه ولي التوفيق .

حسين محمود مكي

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

دعـــاء

للإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع)

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم ، اَلْحَمْدُ للّه وَالْحَمْدُ حَقُّهُ كما يَسْتَحِقُّهُ حَمْداً كَثِيراً ، وَأَعُوذُ بِهِ من شرّ نفسي إنّ النّفس لأمّارةٌ بالسوء إلاّ ما رحم ربّي ، وأعوذ به من فِرَ الشّيطان الّذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي ، وأحترزُ به مِنْ كُلّ جبّارٍ فاجرٍ ، وسلطانٍ جائرٍ ، وعَدُوٍّ قاهرٍ ، اَللّهُمّ اجعلني من جُندك فإنّ جُندك هُمُ الغالبون ، واجعلني مِنْ حزبك فإنّ حزبك هُمُ المُفلحُون ، واجعلني من أوليائك فإنّ أولياءك لا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنُون .

www.noormags.ir